(٧)

سر غضب أمريكا لأن مشروعها للشرق الأوسط الكبير.. انهار وفشل!

obeikandl.com

obeikandl.com

ومن اللحظة التى خلع فيها المشير عبد الفتاح السيسى بدلته العسكرية وقرر النزول إلى ميدان السياسة باستدعاء جماهير غير مسبوق.. تحول حديث الجد إلى حفيده.. ليصبح حديث المستقبل.. أو حديث الأسئلة المعلقة الحائرة حول شخصية عبد الفتاح السيسى التى حيرت الناس بيد من يتهمه بالعاطفية الزائدة.. ومن يلومه على الشدة إلى درجة القسوة والإستبداد.. وفى المسافة الفاصلة بين ما تردد حول ترشحه.. وإعلانه الرسمى الواضح عن ذلك زادت الحكايات وعلامات الاستفهام فالرجل قليل الكلام.. ويحترم لحظات الصمت ويعرف كيف يستثمرها.. حتى إنه بتلك المهارة يتطلب سؤالك إليه.. إلى سؤال لك..

ابن الجمالية فى رحلة الوصول إلى قصر الاتحادية تحول إلى حكاية.. بلغت فى بعض الأحيان درجة الأسطورة اختلطت فيها الخرافة والأكاذيب بالحقائق والأدلة.. والسؤال الأهم هل خطط ودبر وأنقلب وخان لكى يصل إلى الاتحادية؟..وإذا كان الأمر كذلك لماذا سلم مقاليد الأمور إلى قاضى المحكمة الدستورية العليا فى حضور رموز الوطن من كافة الأطياف ثم انسحب إلى موقعه كقائد للجيش.. يعلن الحرب على الإرهاب ويتحمل الهجوم وحالات التربص التى وصلت إلى محاولتين لاغتياله تم إبطال مفعولهما بتعاون جيد بين الشرطة والجيش كانت كل الظروف مهيأة أمامه.. والأبواب مفتوحة لكى يحكم قبضته على مجريات الأمور إن كان هذا هو ومأربه الإنقلابى كما روجت لذلك جماعة الإخوان والإدارة الأمريكية.. بدعم تركى وتمويل قطرى.. وما سر الغرام المدهش بين الحاج أوباما وتيارات الإسلام السياسى؟.. ألم يكن هؤلاء هم أعداء الأمس القريب.. فى كل مكان؟.. أليست هذه هى الصفقة التى تحقق.. الحلم الذى بشرت به كونداليزا رايس بالشرق الأوسط الكبير وقد قالت الخرائط التى تم تسريبها أن الهدف تقسيم العالم العربى إلى دويلات صغيرة وأقاليم فى "سايكس بيكو" جديدة هدفها ان تكون إسرائيل هى الدولة الكبرى فى المنطقة لا ينافسها فى ذلك منافس فهل السيسى هو الرجل المنقذ؟.. أم الجنرال الإنقلابى الذى أزاح الرئيس الشرعى الفاشل لكى يحل محله.. وهو الذى أخرج الملايين من بيوتها جبراً لكى تفوضه وتمنحه براءة الحرب ضد الإرهاب.. وإنقاذ البلاد من مستنقع الفتنة والإنقسام والحرب الأهلية.. وسيطرة عصابة الإخوان.. وهذا هو الكاتب البريطانى ديفيد غاردينر يقول وقتها:

إن الشريحة من الشعب المصرى التى تعتبر عبد الفتاح السيسى هو منقذها المخلص لا يعرفون عنه الكثير.. وذكر غاردينر فى مقال له بجريدة "فاينانشيال تايمز" البريطانية

بعنوان "السيسى يحتفظ بسياسة غامضة والديمقراطية خارج جدول الأعمال فى مصر"، نشرته صحيفة الفاينانشيال تايمز أن جل ما يعرفه المصريون عن السيسى أنه كان رئيساً للمخابرات الحربية فى عهد مبارك، وأنه من أطاح بالرئيس المنتخب محمد مرسى، واليوم يحكم بيد من حديد ويحظر جماعة الإخوان المسلمين.

ورأى الكاتب البريطانى أن السيسى قبل ترشحه للإنتخابات رسخ للدولة الأمنية التى كانت خلال فترة حكم مبارك مع إعطاء مزيد من الصلاحيات للجيش، مضيفاً بأن السيسى يعتمد على الجيش وعلى تأييد مناصرى مبارك ليصل إلى سدة الحكم فى مصر.

ويعتبر كاتب المقال بأن رسالة السيسى واضحة وقد قالها بصورة علنية فى مقابلات تليفزيونية محلية، وهى باختصار أن "الديمقراطية ستكون رفاهية فى حال أن يتم إستعادتها، والجيش سيكون له دور مهم فى الإقتصاد المصرى" مشيرا إلى أنه لن يتسامح بعد اليوم بعد الانتقادات التى توجه إليه".

وقال غاردينر: إنه من المعروف ما ستكون عليه طبيعة حكومة السيسى فى حال تأليفها، وما هى السياسات التى سينتهجها، مشيرا إلى أنه من الصعب تصور مستقبل باهر لمصر إن كان جيشها سيكون المؤسسة الوحيدة فى البلاد.. ولعل ما جرى بعد ذلك يكذب ويفند شكلا وموضوعا ولأن ما يقال فى بريطانيا تجد له أثره فى أمريكا أو العكس.. فإن ما ذكره ويفنده غاردينر ليس ببعيد عن الثنائى الذى قام بالتدريس فى أمريكا عام ٢٠٠٦م فى كلية الحرب العليا.

فقد قال الكولونيل مايكل ماكيرا، والدكتور ستيفن جيراسمدرسا عن الفريق السيسى فى حوار إذاعى مهم لإذاعة WITF الأمريكية حوال سؤال وهو ما هو شعوركم وأنتم ترون طالبا لكم يقود انقلابا فى بلده.. رأيت السيسى كل يوم تقريبا وتعاملت معه طوال العام، إنه طالب ذكى جداً وخطير جداً إنه تقى ودافئ وقد كان متدينا، دعوته للإفطار فى الصباح وكنت قد اشتريت لوحة من اسطنبول لم أكن أدرى أنها باب مكة.. السيسى قال لى، هذا باب مكة وجعل يحدثنى عن الإسلام، السيسى لم يكن يحدثنى عن مصر عادة كنا نتحدث عن العراق باعتبار أنها كانت دراسته فى ٢٠٠٦م لم يكن يتحدث عن مصر كان يتجنب ذلك كلما ذكرت له مبارك كان يحدثنى عن الاستقرار الذى تعيشه البلاد وعندما اختاره الإخوان وزيراً للدفاع لم أكن متفاجئ فهو صامت دائما يكسب خصومه وعندما قاد

الانقلاب كنت أكثر إستغرابا واندهاشا لكننى كنت مطمئنا لأن الولايات المتحدة ستعرف أن تتحدث معه وتأخذه إلى الاتجاه الصحيح – لقد استغرقنا وقتا طويلا فى الحديث عن المبادئ فى برنامجه الذى درسه متى تستخدم القوة وكيف يمكنك أن تحمى شعبك فى وقت الأزمات والحروب، لذا عندما رأيت القتلى فى مصر استغربت موقف السيسى ويبدو أن ثمة آخرين حوله.. لقد كانت علاقة المدنيين بالجيش جزء مهما من البرنامج والسيسى أجرى بحثا حول الأمر وقال لى "نحن مثال مهم فى هذا الأمر ولنا تاريخ فيه" وشعرت من كتابته أنه منتمى للجيش بقوة ويتحدث عن دوره الكبير فى الحياة العامة.

وعندما يبدأ الطلاب الدراسة نسألهم عن انطباعهم عن الولايات المتحدة ثم يتحدثوا عن بلدهم والسيسى لم يكن متحفظا عن الحديث عن مصر وقال الجيش المصرى مصدر إستقرار وقد كنت أتحدث مع السيسى طويلاً عن التصرف تحت ضغط كمحارب وكيف يمكن إدارة الحرب والنزاع هذا كان اهتمامه الأول فى دراسته.

لا أعرف كيف لرجل تعلم فى أمريكا لمدة عام ويعرف القيم الأمريكية جيدا وأبدى إعجابه المكرر بها أن يفعل ما فعل ويبدو أن حجم المتظاهرين أغراه ليفعل ذلك والبرنامج التعليمى الذى تلقاه بشكل أساسى لتحقيق انغماس كامل بالطلاب فى الحياة الأمريكية وجزء مهم من البرنامج يعتمد على الذهاب للمطاعم الأمريكية وحضور المناسبات المختلفة وجزء مهم من دراسة السيسى اعتمد على تعلمه كيفية استخدام القوة التى يحظى بها الجيش فى مجتمعه وكيفية إدارة الأزمات الدولية مع جيوش العالم والقوى الإقليمية وكل من تخرج فى كلية الحرب الأمريكية من برنامج العشرة كان لهم دور فاعل فى بلادهم ببساطة لأن شروط القبول ليست سلهة..

سؤال مهم

حديث الكولونيل مايكل يكشف الكثير من التناقض وأيضا الخبايا حول دراسة كلية الحرب وما هى علاقة القائد العسكرى الذى يذهب بهدف الدراسة العلمية العسكرية أن يندمج فى المجتمع الأمريكى وأن يتشرب قيمه وعاداته ولهذا أدهشهم أن يتمرد القائد المسلم المتدين على القيم الأمريكية وكأنه ذاهب فى رحلة سياحية وقد اندهش مايكل لأن السيسى أخذ من علومهم ما يريده وما يناسب بلده: ولم يتحدث عن رئيسه فى هذا الوقت مبارك لا بالخير أو الشر وهذا ما يكشف لنا كيف أن هذا الرجل لا يتجاوز حدوده والرؤية

عنده واضحة ومحددة فيما يفعله وقد وصفه مايكل بأنه قليل الكلام لكن ما لم يذكره مايكل أو الدكتور ستيفن إن مصر دائما تغير التاريخ وقد انتهت الإمبراطورية البريطانية إلى الأبد بعد عام ١٩٥٦م برغم أنها خسرت المعركة الحربية لكنها انتصرت سياسيا وهى دائما وأبدا عصية على التلون بلون المستعمر لا هى تكلمت التركية أو الإنجليزية ولا الفرنسية لكنها حولت نابليون برغم أنفه إلى شيخ يلبس العمامة ويشهر إسلامة من باب التقرب والنفاق ولم يفلح وها هو ذا الدور يتكرر بعد ٣٠ يونيو وهذه هى شهادة الكاتب الكبير جمال الغيطانى وفى تحليل رائع لإحدى الفضائيات حول تلك العلاقة الخالدة بين شعب مصر وجيشها عن سائر جيوش العالم.

من زاوية أخرى

وفى كتابه "الجنرال المنقذ" يقدم لنا الكاتب عادل نجيب بشرى رؤية متكاملة حول مواصفات القائد المنقذ بشكل عام ثم يقترب مقارناً بين تلك المواصفات وشخصية السيسى وهو ما يرد بقوة على مزاعم الأمريكان الذين يفتحون أبوابهم لقادة العالم الثالث ليس حبا فيهم ولا هى رهبانية فى العالم إنما لدراستهم وهم يدرسون.. ومحاولات زرع حالة من الانبهار ثم الولاء للمنهج الأمريكى.. فإذا ما قادوا زمام الأمور فى بلادهم كانت لهم الولاية عليهم وهذا هو سر انقلابهم على السيسى برغم كل ما قيل فى حقه.

وكتاب عادل نجيب هو ترجمة لكتاب "فيكتور دافيز هانسون" الذى يستعرض تاريخ مجموعة من القادة الأفذاذ عبر أزمنة مختلفة منهم ثيمستوكليز وصلاح الدين الأيوبى وشيرمان ديبتراس.. وأخذ يخصص أحد فصول الكتاب للسيسى ويستعرض سيرته الذاتية ثم يتحدث تفصيلا عن الجنرال المنقذ وعلاقته بالشعب المدنى فيقول خلال قتاله على مختلف الجبهات سيكون على الجنرال المنقذ دائما النظر إلى المدنيين من أفراد الشعب على أهم القوى الحقيقة والمفتاح الذى سيمكنه من تحقيق النصر وتنفيذ الأهداف السامية لاستراتيجيته العظمى وعلى سبيل المثال فإن ثيمستوكليز اعتمد عليهم فى تكوين جيشه عندما لحقت الهزيمة بالمحترفين من جنود اليونان المتحالفين فى "ثرموبيلا Thermopylae" وهو قد استخدمهم فى إضعاف الروح المعنوية لدى خصمه المتفوق عليه عسكريا من حيث العدد والعدة ففى كل مرة ذهب فيها زيركسز لاحتلال إحدى المدن اليونانية الكبرى، وجدها خاوية أمامه، وقد استخدم صلاح الدين الأيوبى هذه التقنية ذاتها، مع الملك

ريتشـــارد قلب الأسد والذى ذهب لاحتلال عسقلان ليفاجأ بأنها خاوية على عروشها وأنه قد تم تدمير أبراجها.

وفى هذا الخصوص، فإننى أريد أن يمتد المعنى المقصود من كلماتى فى الفقرة الســابقة عن مصطلح "المدنيين من أفراد الشعب" ليشمل المدنيين من أفراد شعوب الخصم أيضا فإن القوى المدنية لأفراد أى شعب.. أيا كان هى قوة هائلة لا يجب الاستهانة بها أبدا ويكون من واجب "الجنرال المنقذ" العمل على اســتغلالها لصالحه ولصالح بلوغ الهدف الســامى المتضمن فى الاســتراتيجية العظمى التى يتبعها على ســبيل المثال فإن صلاح الدين تمكن بشــهامته الأســطورية من إقناع المدنيين فى شعوب أوربا من أنه أكثر صلاحا للحفاظ على مســقط رأس المسيح من غالبية ملوكهم الفاســدين ذوى الأطماع المادية والشهوات الدنيوية ويمكن لنا رؤية مثال سيئ لاستغلال أفراد شعوب الخصم فيما فعله بتراس فى العراق عندما استخدم سياسة "فرق تسد" وزرع الشقاق بين السنة والشيعة فى العراق مشعلاً شرارة الفتنة الطائفية بينهما وهو قد فعل هذا فى نفس الوقت الذى استغل فيه المدنيين من أفراد الشعب الأمريكى وأكتســب تأيدهم لما يدور فى العراق من خلال إدعاءاته الكاذبة بأن اســتراتيجية الطفــرة قد تمكنت من فرض الهدوء والأمن على الشــارع العراقــى وتقليل عدد القتلى فى الجانب الأمريكى وعندما تم فضح هذه الأكاذيب عند فشله فى تطبيق استراتيجيته المزعومة فى أفغانســتان انســحب من هناك وهو يجر أذيال الخيبة خاصة أن المقاومة هناك كانت قد بدأت هى الأخرى فى اســتخدام أســاليب المقاومة العراقية فى إصطياد جنود الاحتلال باستخدام المتفجرات المصنعة محليا "IEDS" وفى هذا الشأن كان شيرمان غالبا ما يعمل فى بيئة معادية له تماما الجنوب الأمريكى ولهذا قرر أن يكون خبيثاً لدرجة كافية لإيقاع أكبر ضرر ممكن بخصومة الجنوبيين وعلى سبيل المثال فإنه كان يستهدف عن عمد بيوت الأثريــاء وخاصة مــلاك الإقطاعيات الزراعية الكبيرة من ملاك العبيد كذلك فإنه كان يعمد إلى تدمير كل ما له علاقة بحســن ســير البنية التحتية للجنوب مــن طرق ومبان تاريخية ومخــازن ومجــارى مياه ووقود وغيرها من الموارد الاســتراتيجية حتى يمنع الجنوبيين من الاستفادة بها فى قتاله.

أمــا التصرفــات النبيلة فيمكن رؤية صداها فيما قام به صــلاح الدين الأيوبى من أفعال خلال صراعه الطويل مع جيوش الفرنجة فإنه اكتفى فى كل مرة بعقاب من أوقع الأضرار

بمصالحه وتسبب فى أذية المدنيين والمسالمين من قوافل التجار والحجاج بل إنه فى الواقع تناسى ما ارتكبته جيوش الفرنجة من فضائح وأعمال وحشية قبل عهده ولم يحاسبهم إلا على المخالفات التى ارتكبوها بنقض إتفاقيات الهدنة التى عقدوها معه شخصيا فقط.

وعلى هذا فإن أحد المهام الأساسية لـ "الجنرال المنقذ" هى إقناع الخصم –خاصة غير المقاتلين (المدنيين)– بأنه لم يكن المتسبب الحقيقى فى الأضرار التى لحقت بهم، وإن المخططين الأشرار من قادتهم هم الذين جروا عليهم هذا البلاء وبالتالى فإن التخلص من مثل هذه القيادات الفاسدة من جانب الخصم سيكون فى صالح كلا الجانبين، ومن الممكن أن تكون البداية السلمية لطريق يؤدى بنا إلى التعايش فى سلام.

والسؤال: ما علاقة السيسى بهذه النوعية من القادة وهل يمضى على طريقهم أم أنه تحول عنهم وأصبحت له مواصفات خاصة؟.

❑❑❑